مقام الورع عند الصوفيه

بقلم
الأستاذ أبو الوفا الغنيمى التفتازانى
مدرس الفلسفة الاسلامية بكلية الاداب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » .

الورع من المقامات العالية عند السالكين لطريق الله من الصوفية ، ويعنى الورع الخروج من كل شبهة ، وترك الانسان لما لا يعنيه بوجه عام .

ويقتضى الورع من المتحقق به أن يأكل مما أحله الله من كسب يده ، وهذا مستمد من أدب الاسلام ، فقد روى عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال : « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات فمن ترك الشبهات مخافة أن يقع فى الحرام فقد استبرأ لعرضه » ، وقال صلى الله عليه وسلم لسعد رضى الله عنه : « إن أردت أن يجيب الله تعالى دعاءك فكل الحلال » وقال ﷺ : « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه » .

وقد اشترط شيوخ الصوفية محاسبة النفس محاسبة دقيقة فيما يتعلق بالورع لكى تخرج عن كل ما فيه شبهه ، وفى ذلك يقول يونس بن عبيد : « الورع الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس فى كل طرفة » .

وتحكى لنا كتب الصوفية حكايات عديدة عن المتحققين بالورع ، وكيف كانوا يتورعون عن أكل كل ما فيه شبهة فمن ذلك ما يحكى عن الحارث المحاسبى من أنه كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال .

ويحكى كذلك عن بشر الحافى أنه دعى إلى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد أن يمد يده إليه فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات ، فقال رجل يعرف ذلك منه : إن يده لا تمتد إلى طعام فيه شبهة ، فما كان أغنى صاحب الدعوة أن يدعو هذا الشيخ !!

وهكذا كان شيوخ الصوفية يحاسبون أنفسهم محاسبة دقيقة فى أمور معاشهم ويخافون الله تعالى ، ويتورعون عن الحرام ، ويتركون كل ما يشتبه عليهم من الأمور ، ويلاقون فى ذلك كل شدة . ولكن شيوخهم قد أبانوا عن طريقة وحددوا معالمه فى وضوح ؛ فيقول الفضيل بن عياض : « يقول الناس : الورع شديد : دع ما يريبك إلا ما لا يريبك . خذ ما حل وطاب من الأشياء وابذل المجهود فى طلب الشىء الصافى من الحلال ، لأن الله عز وجل قال : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا » .

وجعل بعض الصوفية للورع ظاهرا وباطنا ، فيقول أحدهم الورع على وجهين : « ورع فى الظاهر وهو أن لا يتحرك إلا لله تعالى ، وورع فى الباطن وهو أن لا يدخل قلبك سواء تعالى » .

قال الشبلى لى : « الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله تعالى » .

وفى الرسالة القشيرية أن الحسن البصرى الزاهد المشهور دخل يوما مكة فرأى غلاما من أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس موقفه ، فجاء الحسن وقال : يا غلام الدين ؟

فقال : الورع ، قال : فما آفة الدين ؟ فقال : الطمع ، فتعجب الحسن منه ، وقال الحسن : مثقال ذرة من الورع السالم خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة .

وقد تحمل الشاذلية من الصوفية فى بيان معنى الورع ، واعتبروه مظهرا للعبودية التامة لله تعالى والاعتماد عليه بالكلية ؛ واستمع إلى الشيخ أبى الحسن الشاذلى قائلا : « الورع نعم الطريق . . فقد انتهى بهم (أى بالصوفية) الورع إلى الأخذ من الله ، وعن الله ، والقول بالله ، والعمل لله ، وبالله ، وعلى البينة الواضحة ، والبصيرة الفائقة . فهم فى عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ، ولا يختارون ، ولا يريدون ، ولا يتفكرون ، ولا ينظرون ، ولا ينطقون ، ولا يبسطون ، ولا يقبضون ولا يتحركون إلا بإقدار الله » .

وهذا النوع من الورع هو ورع الخصوص من أهل الله ، وهو لا يفهمه إلا القليل ممن اصطفاهم الله بعنايته . ومن أجل ما قيل فى ورع الخصوص قول ابن عطاء الله السكندرى . « اعلم أن حقيقة الورع الخصوص لا يفهمه إلا عليل

« فإن من جملة ورعهم تورعهم من أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد أطماعهم بالطمع فى غير فضله وخيره .

« ومن ورعهم وورعهم عن الوقوف مع الوسائط والأسباب رخلع الأنداد والأرباب .

« ومن ورعهم وورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون إلى نور التجليات .

« ومن ورعهم ورعهم عن أن تفتنهم الدنيا أو توقفهم الآخرة تورعا عن الدنيا وفاء ، وعن الوقوف مع الآخرة صفاء »

ومن كل ما سبق يتبين لنا أن مقام الورع من المقامات المستندة إلى أدب القرآن والسنة ، وأنه أساس هام فى بناء التصوف .

والمتأمل فيما تحدث عنه شيوخ الصوفية من معانى الورع يحس أننا فى هذا العصر المادى أحوج ما نكون إلى الاستفادة منها . فما أحوج الإنسان منا إلى ترك كل شبهة ، والعزوف عن كل ما ريبه ، وتجنب كل حرام ؛ وحاسبة نفسه فى أمور معاشه كالمأكل والملبس . فإن هذه الأمور تغيب عن بال الكثيرين منا فى هذا العصر الذى يتسابق الناس فيه فى مضمار الكسب المادى تسابقا يعميهم عن محاسبة أنفسهم فى مصادر رزقهم ؛ هل هى مما حرمه الله أم أحله ! إن الناس لم يعودوا يبالون من أين يكسبون ، وليت التاجر والعامل والزارع والموظف يسائل نفسه ويحاسبها حسابا دقيقا فى مصادر رزقه ، وعندئذ يقضى على كل كسب غير مشروع من رشوة أو غيرها

وكذلك نحن أحوج ما نكون إلى ورع الخاصة من الصوفية ، فإن المثل الأعلى الذى رسمه ديننا هو أن نكون مقبلين على الله معرضين عن سواه ، وأن نكون فى هذا على بينة واضحة وبصيرة فائقة ، وأن نكون آخذين عن الله وعاملين لله وبالله ، وأن نكون قانعين بفضل الله غير طامعين فى خلق الله فلا الدنيا تفتننا ولا الآخرة تقطعنا عن العمل لدنيانا .

وهكذا كان الصوفية يفهمون الورع فهما شاملا عميقا ، فهم لم يكونوا يتزوون تأملا وتعبدا . وإنما كانوا يشاركون فى بناء المجتمع السليم ببناء أفراده على أساس من أدب الإسلام وتعاليمه السامية .

بقلم الشيخ التفتازانى

احتفالات

مشيخة الطرق الصوفية

بالمولد النبوى الشريف

احتفل العالم الإسلامى بأخلد ذكرياته وأقدسها . بذكرى مولد المختار المصطفى . سيد ولد آدم : وخاتم المرسلين : سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

والصوفية هم أبدا أحرص الناس على إحياء أعياد الإسلام الدينية ، وأيامه التاريخية ، ولقد بذلت مشيخة الطرق الصوفيه ، فى هذا العام جهدها الكبير لابراز هذه الاحتفالات فى هالة من الجمال والكمال .

يليق بعظمة صاحب الذكرى الذى أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .

ولقد أصدرت المشيخة العامة تعليماتها إلى رجال الطرق الصوفية فى المحافظات والمديريات لإقامة الاحتفالات فى كل محافظة ومديرية على أن يراعى فيها المظهر الدينى الكامل .

كما احتفلت بدارها بالقاهرة بالذكرى الشريفة طوال أيام الأسبوع السابق لليلة الذكرى الخالدة . وقام السادة الرفاعية بإحياء الليلة الأولى كعادتهم السنوية .

وابتداء من يوم الجمعة الموافق ٨ من ربيع الأول انتقلت مشيخة الطرق الصوفية إلى ساحة المولد بأرض الغفير بالعباسية حيث أقيمت السرادقات الكبرى الخاصة بالسادة مشايخ الطرق الصوفية . وكانت هذه السرادقات تمتلأ كل ليلة بالصفوة المختارة من العلماء والأدباء ورجالات الدعوة والاعلام والخاطبين المؤمنة المحبة لرسولها يتبادلون التهانى ويتدارسون سيرة الرسول الكريم ويستمعون إلى تلاوة آيات الذكر الحكيم وندوات العلم والدين كما وزعت الصدقات والخيرات على الفقراء والمساكين ومدت موائد الطعام للناس كافة . ليكون البر والخير

فى أيام الذكرى عاما شاملا .

وفى الليلة الختامية هرعت الجماهير من كل مكان إلى ساحة المولد ترفرف عليهم السكينة وتحفهم البركة ويعلو وجوههم البشر والسرور ، وازدحم سرادق المشيخة العامة للطرق الصوفية على سعته بكبار رجال الجمهورية العربية وصفوة أهل العلم والفكر والدين وعمداء الكليات بالجامعة والأزهر ونخبة من سفراء الدول العربية والاسلامية فى طليعتهم سعادة الأستاذ صلاح الدين السلجوقى سفير الأفغانستان ، وسفير المملكة المتوكلية اليمنية والسيد اللـــواء محافظ القاهرة .

وفى تمام الساعة السادسة شرف السرادق سيادة الأستاذ حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية والعمل المركزى نائبا عن السيد رئيس الجمهورية .

وبين الجلال والاشراق والخشوع رتل المقرىء الكبير الشيخ مصطفى اسماعيل آيات الذكر الحكيم ، مفتتحا الحفل العظيم .

ثم وقف سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية ليلقى القصة النبوية الشريفة .

ولقد جمعت كلمة سماحته بين عظمة الإلقاء ، وروعة الأسلوب والتغنى بمآثر الرسول وإظهار جوانب العظمة فى أخلاقه ، والعبرة فى سيرته والهدف من رسالته التى جاءت رحمة للناس كافة .

ثم تحدث سماحته عن رسالة التصوف والطرق الصوفية وعن نهضة التصوف والطرق الصوفية فى عصر الثورة المباركة والآمال العريضة المعقودة على تلك النهضة .

ثم أبرز الدور القيادى العظيم الذى يقوم به الرئيس المجاهد جمال عبد الناصر فى المحيـــط العربى والإسلامى ودعا له بالتوفيق والتأييد

ثم ختم الحفل كما بدأ بالقرآن الكريم ووزعت الحلوى والمرطبات وتقبل سماحته ومشايخ الطرق التهانى والدعوات أن يعيد الله هذه الذكرى الجليلة على المسلمين والعرب والانسانية كافة بالخير واليمن والبركات .

مولد الهدى والنور

الكلمة التى القاها الأستاذ فى السيد محمد محمود الإحتفال بالمولد النبوى الشريف بحضرة السيد نائب رئيس الجمهورية

سيدى نائب الرئيس

أيها السادة . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ربنا لك الحمد مباركا طيبا ، كما ينبغى لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، لا نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

وباسمك ربنا ، نبدأ حفلنا ، وهو حفل تحبه وترضاه ، وتباركه وترعاه ، وتشرق فيه أنوارك ، وتحفه رحمتك ، فقد أقيم لنسبح بحمدك ، ونقدس لك إجلالا وذكرى ، وثناء وشكرا ، على منتك الكبرى ، ونعمتك العظمى ، إذ بعثت فى الأميين رسولا منهم ، يزكيهم ويطهرهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويأخذ بأيديهم إلى هداك ، وبقلوبهم إلى رضاك ، وبأرواحهم إلى حبك .

وجعلته دليلا يرشد إليك ، ولسانا يترجم عنك ، بل جعلته قبساً من نورك وفيضاً من هداك ، ورحمة شاملة مهداة منك إلى العالمين .

فان احتفلنا بذكرى مولده اليوم ، فانما نحتفل بفضلك ورحمتك ، ونشكر على قرآنك ورسالتك ، ونصلى خاشعين على صفوة خلقك ، الذى جاءنا من عندك . . . هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا .

أيها السادة

اليوم هو يوم عيد النور والهدى ، يوم مولد الأمة العربية الإسلامية ، أمة القرآن والفرقان ، أمة العزة فى ظل الطاعة ، والوحدة تحت لواء المحبة .

مة الخلافة فى الأرض ، لتكون الأرض سلاما وأمنا ، وخيرا وعدلا أمة السيادة على الكون ، لتحيل الوجود إلى محاريب للعبادة ، وتحيل الدنيا إلى إخاء ومودة .

أمة الله ، وهى خير امة أخرجت

للحياة ، لأنها تحمل أكمل الرسالات وأفضل التشريعات .. اليوم ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفم الزمان تبسم وثناء

الروح والملأ الملائك حوله

للدين والدنيا به بشراء

والعرش يزهو والحظيرة تزدهى

والمنتهى والسدرة العصماء

يارسول الله :

ليس للانسان فى يوم ميلادك ، أن يتطاول فيحاول أن يضفى عليك المديح والثناء . وماذا يقول الإنسان بعد أن قال رب الوجود .

انه قد شرح لك صدرك ، ورفع لك ذكرك ، وأدبك فأحسن تأديبك واصطفاك ، واجتباك ، وأعطاك ، وسوف يعطيك فترضى ، مقام لا ينبغى لأحد سواك .

ذلك يارسول الله ، فضل الله ، وما للبشر طاقة تسمو إلى ذلك الأفق أفق الذى رأى من آيات ربه الكبرى أفق صاحب الغار والمعراج ، أفق من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى .

وإنما نحاول يارسول الله . ان نقتبس من هديك نورا ، ومن ذكراك هدى ، ولدى رحابك الطاهر الزكى سلاما وإلهاما .

ولقد لبث العالم الإسلامى أحقابا إذا احتفل بذكراك يارسول الله ، شاهدنا قصة يشدو بها الشادى بلحن رخيم ناعم ، وأنت فى قصتهم يارسول الله ، أكحل العينين ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، وعظيم الهامة ! !

أما الحديث عنك أنت الذى بعثت بالقرآن رحمة للعالمين ، أنت الذى حررت الدنيا بهتاف التوحيد ، أنت الذى جعلت على ظهر هذا الكوكب ، أمنا وسلاما وعدلا ورحمة .

إذ الناس فى دينك أمة واحدة ، متراحمة متكافئة ، حتى أن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا .

تلك الرسالة الربانية التى حملت هداها يارسول الله وأنت بالمؤمنين الرءوف الرحيم ، لم تكن تحظى من القاتلين إلا بلفتة عابرة .

ذكراك الحقة يارسول الله ، هى أن يحيا المؤمن فى ظلالك وأن يقتدى كل مسلم بأفعالك .

أن تكون المثل والهدف والشعار لكل مؤمن بالكتاب ورب الكتاب .

فليس الإيمان كما علمتنا وارشدتنا بالتمنى ، وإنما ما وقر فى الصـــدر ، وصدقه العمل

ولقد قلت ، وما تنطق عن الهوى : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليـــه من نفسه وولده وأهله وماله والناس أجمعين »

وقلت يا رســـول الله ، وأنت الصادق الأمين : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ، والإيمان بك يا رسول الله ، متعلق بصفتك وبهديك وبرسالتك ، فليس يحب لك من حاد عن هديك وأدبك ، وليس يحتفل بك من أعرض عن رسالتك وذكرك .

ان يوم الذكرى ، ذكراك يا رسول الله ، يجب أن تعلمنا ، وأن تلهمنا ، ان محمدا صلوات الله عليه ، هو السطر الأول فى كتاب الأمة الإسلامية ، وانه المثل الأعلى لكل مسلم محمدى ، ورســـول الله لم يكتف بالدعاء ولا بالرجاء .. وإنما حمل السيف مجاهداً محاربا ، متحـــديا الدنيا بأسرها ، مؤمناً بأن النصر من عند الله ، ومن ينصر الله ينصره

بهذا الإيمان جابه رسولنا الدنيا ، فقاتل وحارب ، تحمل الأذى وصبر وصابر . وشج رأســـه الشريف ، وكسرت ثناياه ، وسال دمه الطاهر الزكى على الأرض

هـذا الدم المحمدى الزكى ، الذى أريق فى سبيل الله نما وزكا ، وأينع ثمره ، فكانت الأمة الإســـلامية ، وكانت الأمة الإسلامية ، والعزة الاسلامية

جاء رسول الله ليعلمنا أن العزة لله ، ولرسوله وللمؤمنين والعزة ليست بالتمنى . ولا بالخيال ، إنما العزة هى التصـــميم والعزم والعمل الدائب ، والكفاح الشاق .

العزة هى قوة الأخلاق ، وقوة الروح ، وقوة الايمان ثم قوة الحديد ، وبأسه الشديد . وقوة العلم وما يبدع من فتوحات وابتكارات .

وإذا قيل العلم ، فعلم الحياة ، علم العصر ، علم فنون القتال ، وأسرار الصناعات ، علم الطاقات الكهربائية والذرية

فالمؤمن المقتدى برسول الله ، هو الذى يربط بين العبادة والقوة ، وبين الصلاة والعزة ، والزكاة والعلم ، والحج والجهاد ، وشهادة التوحيد ، والحرية فى الحياة .

إن تلك الصنائع ، التى يملأ صوتها

البقية على صـ ٧٠